المنهج النبوي في التعامل التربوي

سعيد بن محمد آل ثابت

الألوكة
www.alukah.net

المنهج النبوي
في التعامل التربوي

سعيد بن محمد آل ثابت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لما كانت الدعوة إلى الله قائمة على الاتصال بين بني الإنسان وعلى التعايش والمسايرة الحياتية، اختار الله لها أفضل خلقه وأسمقهم، وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال سبحانه عن محمد صلى الله عليه وسلم:"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ" التوبة:١٢٨، وقال الله عن موسى: "وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ" طه:١٣، وقال: "وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" طه:٤١، وقال: "وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي" طه:٣٩، وكان من أبرز مؤشرات اختيارهم قدرتهم على أن يمثلون ما يعتقدون؛ وأن يحسنوا التعامل مع أقوامهم، حتى في بيانهم وقولهم: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" إبراهيم:٤، ولا يكن أحدهم مغلاقاً عن الخير بسلوك أو تعامل شاذ، وحاشاهم ذلك، ولقد قال الله لموسى وأخيه عن فرعون: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" طه:٤٤، ومن سار على طريقتهم في الدعوة والمعايشة مع الناس فعليه السير على طريقتهم: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" الأنعام:٩٠، وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله: [المؤمنُ الَّذي يخالطُ النَّاسَ ويصبرُ على أذاهم أعظمُ أجرًا منَ المؤمنِ الَّذي لاَ يخالطُ النَّاسَ ولاَ يصبرُ على أذاهم" رواه ابن ماجه، وفي هذا إشارة إلى أن مكث المربي مع مجتمعه يقتضي الصبر والتحمل لأن لازم المعايشة حصول الأذى، وهو صريح ما أوصى الله به رسوله صلى الله عليه وسلم: "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ" الأحقاف:٣٥، وقال سبحانه: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" السجدة:٢٤، فالصبر على أذى الناس وإبداء الحسنى أمام الأذى واحتساب ذلك لله وحسن التعامل معهم وتقبلهم، هو من أجل خصال الداعية الرباني، وقد كانت تلك وصية رسول الله لرسوليه لليمن –أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما– صراحة بذلك، وهي وصية لكل داعية مربي: "ادعوا الناسَ وبشِّرا ولا تُنفِّرا ويسِّرا ولا تُعسِّرا" رواه مسلم، وفي هذا المبحث اليسير لعلي أن آتي على شيء من منهجية التعامل التربوي من منبع الوحيين؛ وكيف يستطيع المربي أن تتسع مظلته للمدعوين، وأن يتقبل اختلاف الخلق بطبيعتهم، وأن يستوعبهم بأخلاقه وطريقته، وستكون الموضوعات كالتالي:

- **مقدمات (لماذا الموضوع؟).**
- **قواعد مهمة.**
- **التعامل في القرآن الكريم.**
- **الرسول صلى الله عليه وسلم هادياً مهدياً.**
- **كيف أعزز خلقاً وكيف أزيله؟**
- **مفاهيم خاطئة.**
- **الخاتمة.**

أولاً: مقدمات (لماذا الموضوع؟)

١. حسن الخلق عبادة، المتأمل في شريعتنا الغراء ومقاصدها العظيمة ينبل عنده مدى عناية الشريعة بالخُلق وإعداد الأجور والفضائل إزاءه، لاسيما وأن الخالق سبحانه يصف رسول الأمة عليه الصلاة والسلام بذلك تشريفاً وتزكيةً، قال سبحانه: "وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم:٤، ولا غرابة وهو من وصفته زوجه وصاحبته عائشة رضى الله عنها بـ:"كان خلقُه القرآنَ" صحيح الجامع. ولنتأمل فقط هذه النصوص لندرك على الأقل نسبية هذا المفهوم في ديننا.

عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً: [إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صالحَ الأخلاقِ". مجمع الزوائد.

وعن عبد الله بن عمرو قال:" إن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم لم يَكُنْ فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا، وقال: إن مِن أحبِّكم إليَّ أحسنَكم أخلاقًا". رواه البخاري.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ المؤمنَ لَيُدرِكُ بخُلقِه درجةَ الصَّائمِ القائمِ". رواه ابن حبان.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" خيرُ الناسِ أحسنُهم خُلُقًا". صحيح الجامع.

وعن أبي الدرداء مرفوعا:" أثقلُ شيءٍ في الميزانِ الخُلقُ الحسَنُ". رواه ابن حبان.

وعن أبي أمامه الباهلي رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنَّةِ لمن ترك المِراءَ وإن كان مُحقًّا وأنا زعيمٌ ببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لمن ترك الكذبَ وإن كان مازحًا وأنا زعيمٌ ببيتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حسُن خلُقُه". رواه أبو داود وحسنه الألباني.

ومن النصوص كذلك عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرَنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تلقَى أخاك بوجهٍ طلقٍ" رواه مسلم.

هذا وقد كانت الأوزار والآثام مرتبة على من أساء خلقه مهما كانت عبادته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ إنَّ فلانةً تُكثِرُ من صلاتِها وصدقتِها وصيامِها غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بلسانِها قال هي في النَّارِ قال يا رسولَ اللهِ فإنَّ فلانةً يَذكرُ من قلَّةِ صيامِها وصلاتِها وأنَّها تتصدَّقُ بالأثوارِ من الأقِطِ ولا تُؤذي جيرانَها قال هي في الجنَّةِ". صحيح الترغيب والترهيب.

وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان[١]:

١- الصبر؛ فإنه منشأ كثير من الأخلاق الفاضلة؛ كالاحتمال، وكظم الغيظ، والحلم، والأناة، والرفق، وعدم الطيش والعجلة.

[١] "مدارج السالكين"؛ لابن القيم.

٢- العفة؛ فإنها تحمل صاحبها على اجتناب الرذائل والقبائح من الأقوال والأفعال.

٣- الشجاعة؛ فهي تحمل أهلها على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم. وتحمل أيضا على البذل والندى؛ الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته. وتحمل أيضا على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة نفسه وشجاعتها أمسك عنانها عن البطش والفتك.

٤- العدل؛ فإن يحمل أهله على اعتدال الأخلاق، والتوسط بين طرفي الافراط والتفريط.

فمنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأصول الأربعة، كما أن منشأ جميع الأخلاق السافلة عن أربعة أصول أيضا؛ هي الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

قال الحسن البصري– رحمه الله– عن حسن الخلق:" بأنه كف الأذى وبذل الندى، وطلاقة الوجه".[٢]

وقال عبد الله بن المبارك –رحمه الله–: "حسن الخلق طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، و أن تحتمل ما يكون من الناس".[٣]

وقد يأتي التساؤل عن منشأ الأخلاق الفاضلة؟

يجيب الإمام ابن القيم –رحمه الله– عن هذا فيقول:

وأما الأخلاق الفاضلة، كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة والعفة، والصيانة والجود والحلم، والعفو والصفح والاحتمال، والإيثار، وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة والصدق، والإخلاص والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة، ونحو ذلك، فكلهما ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة، والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء، فتهتز وتربو، وتأخذ زينتها وبهجتها، فكذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق.[٤]

وأخيراً ليكن من هذا النص النبوي مرشداً وحافزاً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق [رواه مسلم.

٢. أهمية الاتصال في حياة البشرية، (الاتصال يلعب دورا هاما في حياة الإنسان ومستقبله. ولذلك فإن توفر مهارات الاتصال أمر ضروري ليس للموظف فحسب بل الإنسان عامة. وتشير بعض الدراسات إلى أن الإنسان يقضي من ٧٠% إلى ٨٥% من وقته في الاتصال بالآخرين؛ إما عن طريق الإنصات لهم، أو الحديث معهم، أو القراءة، أو الكتابة للآخرين. كذلك فإن الاتصال يلعب دورا هاما في حياة المنظمات، فمن خلاله على سبيل

[٢] "الآداب الشرعية"؛ لابن مفلح (٢١٦/٢).
[٣] "جامع العلوم و الحكم"؛ لابن رجب (ص١٦٠).
[٤] "الفوائد"؛ لابن القيم (٢١٠-٢١١).

المثال يتحقق الفهم المتبادل بين أعضاء العلاقة، ومن ثم تمثل عمليات الاتصال الشرايين التي تربط بين أعضاء المنشأة، وبين وحداتها، وأنشطتها المختلفة، وبين الوظائف الإدارية المختلفة لتحقيق الترابط والانسجام بينها. ويؤدي غياب الاتصال الفعال داخل المنظمة إلى مشكلات حادة، وإلى تبديد الموارد وتعطيل الإنتاجية، كما هي الحال في الدول النامية، حيث تعاني الكثير من الشركات والبنوك من الصراعات بين موظفيها وإداراتها. فيجب على المدير أن يتعرف على المشكلات التي يكون الاتصال سببا فيها ويعمل جاهدا على إيجاد اتصال فعال يقضي على تلك المشكلات).[٥]

إذن التعامل مع الإنسان يحتاج لعناية وفهم وحسن تصرف فليس هو فكر فقط أو جسد فقط أو مشاعر فقط بل هو مجموع ذلك كله، فالأسلوب والإيماءات والوجدان كل ذلك له أثره على الطرف المقابل.

٣. أهمية ترجمان التربية وهي القدوة التي تمثل ما تعتقد، وإن المربي القدوة يقتضي أن يكون أنموذجاً عملياً لما يعتقد ويدعو إليه، فليس عقلاً أن يدعو للابتسامة وهو مقطب الجبين، أو يدعو للعفو وهو مثال للانتقام لنفسه أو يدعو للتبسط ونزع الكلفة مع الناس وهو متشدق متفيهق متكبر، فكلما كانت المسافة بين القول والفعل أقصر في القدوة كان الاقتداء به أكثر، والعكس صحيح.

[٥] "مهارات الاتصال الفعال مع الآخرين"؛ لمدحت محمد أبو النصر (١٨-١٩).

ثانياً: قواعد مهمّة

١. الاختلاف سنة الله في خلقه، قال سبحانه: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ] هود:١١٨، وعن أبي موسى مرفوعاً: "إن اللهَ خلَقَ آدمَ مِن قبضةٍ قَبَضَها مِن جميعِ الأرضِ، فجاءَ بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ: جاء منهم الأحمرُ، والأبيضُ، والأسودُ، وبينَ ذلك، والسَّهْلُ، والحَزْنُ، والخبيثُ، والطيِّبُ —زاد في حديث يحيى— وبين ذلك والإخبارُ في حديثِ يزيدَ". رواه أبو داود. ومن هذه القاعدة ندرك اختلاف الأفهام والعقول والأشخاص، فالسوي غير الشاذ، ومن عاش في بيئةٍ ترفة ليس كالفقير، والمتعلم ليس كالجاهل، فاعتبار ذلك كله يولد عن الفرد سعة لتقبل تلك الشخصيات باختلافها وتتسع مظلته لكل أحد كما اتسعت مظلة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢. اعتبار العلاقات لها أساس في الاتصال، فالوالد مع ولده والعكس، والرئيس مع مرؤوسه والعكس، والزوج مع زوجه والعكس، والمربي مع المتربي والعكس. والموفق من هُدي لأكمل الخلق وأسمى الذوق، وثمرة ذلك؛ الاعتبار في معرفة كل فردٍ ماله وما عليه وهذا بيت القصيد، ثم إن الواجبات ليست كل شيء، إذ الخُلق ليس له سقف يحده، أو قالب يقولبه بل ميدان يتسابق فيه فرسان الأخلاق إلى مالا نهاية.

٣. مبدأ باريتو والمشهور بقاعدة ٢٠-٨٠%، وهذه القاعدة عامة في كل شؤون الحياة، وإيرادها هنا ومدى إفادتنا منها في أن نضبط ردات أفعالنا لنحظى بأكبر قدر من المكاسب، فنكبح جماح النفوس حيال الغضب لنستطيع توفير أكبر قدر من الإنجازات والمكاسب وتفويت الكثير من التبعات والأضرار. فلو أن رجلاً قام صباحاً ليذهب بأبنائه للمدرسة فانسكب الحليب على ابنته أثناء الإفطار فصرخ عليها فاغتال فرحتها فأتت أمها مسعفة معاتبة فرد لها معنفاً بطلقة وكأنه سهم ساخن اخترق فؤادها وبكور يومها، وهلت دموع الأبناء باكين مولولين فأخذهم عنوةً لمدارسهم وقد نسى أحدهم فسحته والآخر حقيبته، ودخلوا مدارسهم متأخرين في حالة يُرثى لها، وتلقّوا كل معاني العتاب من المعلمين مع توثيق ذلك ضدهم، علماً أن والدهم قد تأخر عن دوامه واضطر لقطع إشارتين وتحمل غرامة ذلك، وقد تلقى خصماً لتأخره، بينما البنت الصغيرة باتت غائبة عن المدرسة ورأسها في حجر أمها طوال ذلك اليوم ترتجف خوفاً، وأمها منهارة على كل شيء بالدموع والفزع والخوف على بيتها وأبنائها وبنتها وزوجها أيضاً ومن ثم نفسها! هذا الموقف المحزن لو قارناه مع آخر فحين رأى الحليب ينسكب سارع بالتسمية على بنته وضمها ضمة حب ووئام، وألبسها آخر، ثم انطلقوا سالمين لمبتغاهم. فبين المشهدين تتحدث هذه القاعدة فالأول خسر ٨٠% وربما أكثر، والأخير كسب ٨٠% وربما أكثر، والسر بعد توفيق الله في عدم الاستغراق في اللحظة الحاضرة ومن ثم ضبط الذات وكبحها لاستثمار ما تبقى. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس الشَّديد بالصُّرَعَة، إنَّما الشَّديد الذي يملك نفسه عند الغَضَب" رواه البخاري ومسلم.

٤. قاعدة المكسب المشترك: وقد ذكر كوفي هذه القاعدة في كتاب العادات السبع، وفكرتها العامة أن تحاول أن تبني علاقاتك في العمل والحياة على المكسب المشترك وألا تبنيها على أساس أن تكسب أنت ويخسر الطرف الآخر أو أن يكسب الطرف الآخر وتخسر أنت أو أن يخسر كلاكما. وبين كوفي أن هذا ينطبق على العلاقات المستمرة مثل علاقة الرجل بزوجته والمدير بمرؤوسيه والموظف بزملائه والشركة بمورديها والشركة بعملائها. فالمكسب المشترك معناه محاولة الوصول لحلول ترضي جميع الأطراف، حلول متوازنة، حلول فيها تقدير لموقف الطرف الآخر. وهذا يُشجع على استمرار العلاقة والتعاون وتعميق المودة. أما أن تأخذ الأمور على أساس أنها صراع ينتصر فيه أحد الطرفين فإن هذا يُدمِّر العلاقة وهذا يكون له تأثيرات سلبية في المستقبل سواء كانت هذه علاقة عمل أم علاقة اجتماعية. ويشير كوفي إلى أن بعض الأنظمة الإدارية قد تُشجِع على أن يكسب طرف ويخسر الآخرون بينما المطلوب هو أن يكون هناك مكسب مشترك. ومثال ذلك أن تكون الجوائز والحوافز المادية فردية أي لا تقدر مجهود الفريق ككل وهو ما يعني أن شخصا أو أفرادا قليلة تكسب بينما الباقون يخسرون. ولكن عندما يكون هناك تحفيز للفريق ككل فإن هذا يشجع على تعاون الفريق كله لأن المصلحة مشتركة.

وهذه مسألة تكلَّم فيها كثيرون في مواضيع الإدارة المختلفة. وفي الإسلام قواعد كثيرة تحكم علاقة المسلم بغيره فالمسلم في تعامله لا يغش ولا يكذب بل إنه يَنصح من يتعامل معه حتى في البيع والشراء. بل إن العلاقات قد تُبنى على أن يكسب الطرف الآخر وأخسر أنا وهذا هو الإيثار مثلما فعلت الأنصار مع المهاجرين. وهذا بالمفهوم المادي يُسمى خسارة للطرف الأول ومكسب للطرف الثاني ولكنه في الحقيقة مكسب للطرفين لأن الطرف الأول يفعل ذلك رجاء الثواب في الآخرة. ولو فكرت في الأمر لوجدت أن ما يشجعك على التعامل مع نفس الشخص أو المؤسسة مرارا وتكرارا هو التعامل الأمين والصادق ووجود تعاون وتفهم. فليس المكسب هو السبب في حرصي على التعامل معك مرة أخرى ولكن حرصك على ألا تظلمني وألا تضُرَّني هو الذي يحببني في التعامل معك. وعندنا كمٌ كبير من الأحاديث النبوية في هذه الأمور، ودونك بعضها:

"الدين النصيحة"، "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"، "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"، "من غشنا فليس منا"، "من يسَّر على معسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة"، ويروي الطبراني أن جريرا أمر مولاه أن يشتري له فرسا فاشترى له فرسا بثلاث مائة درهم، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلاث مائة درهم. أتبيعه بأربعمائة درهم؟ قال ذلك إليك يا أبا عبد الله. فقال: فرسك خير من ذلك. أتبيعه بخمسمائة درهم؟ ثم لم يزل يزيده مائة، فمائة، وصاحبه يرضى، وجرير يقول: فرسك خير إلى أن بلغ ثمانمائة درهم. فاشتراه بها. فقيل له في ذلك، فقال: إني بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم.

فإذا كنت لن تخدع ولن تكذب وستنصح وستُحِب الآخرين فإنك ستصل لفكرة تفوق أو تشابه فكرة المكسب المشترك. بل إن الإسلام حرَّم أنواعاً من التعاملات حتى ولو برضا الطرفين لأنها قد تؤدي إلى التشاحن والتباغض مثل أن تتفق مع أحد أن يزرع أرضك مقابل جزء معين مما تنتج الأرض وكذلك تحريم بيع الثمر حتى يبدو صلاحه. وقد تجد من يتحدث عن المكسب المشترك وكسب غيرك وخسارتك وغيرهما بمنتهى الفخر بفكره ومعلوماته ولو سألته عن الفرق بين الأثرة والإيثار أو سألته عن إنظار المعسر لحارَ ولم يجد ما يرد به. إننا كمن عنده في بيته كنز من الذهب والفضة والجواهر وهو لا يرى هذا الكنز وعندما رأى قطعة من الفضة مع غيره انبهر بها وسعى للحصول عليها.

٥. اعتبار الأنماط الشخصية: إن المتأمل في واقع حياة الناس يجد لكل منهم شخصية مختلفة عن غيره، ولكل منهم أسلوبه في التعامل مع الآخرين فهذا يبتعد عن مواجهة الآخرين خوفاً من الانتقادات المتوقعة، وهذا يستعطف الآخرين بالمبالغة في إظهار المعاناة، وهذا يلقي بأخطائه على الآخرين...إلخ، وقد تحدث مشكلة من أحد الناس أو سلوكاً غريباً، فنستغرب هذه التصرفات وربما نتعامل معها بأسلوب خاطئ، ولكن لو تعرفنا على أنواع الشخصيات وصفاتها، لاستطعنا أن نحللها ونتعامل معها بالطريقة المناسبة.

وقد تطرق علم النفس إلى تصنيف الشخصية إلى أنماط وجوانب وأنواع كثيرة، واستند في كل تصنيف إلى جانب معين كالجانب الفسيولوجي مثلا أو الجانب الوجداني أو السلوكي وغيره من الجوانب الاخرى في الإنسان. عندما نعرف أنماط ونفسيات الناس نستطيع أن نضع كل شخص في موضعه الصحيح، ونعرف نقاط ضعفهم ونقاط قوتهم، ويكون تواصلنا مع من حولنا أكثر مرونة و سلاسة، وأيضاً عندما نعرف أنماط ونفسيات الناس نكون قادرين على التكيّف مع حياتنا الاجتماعية باختلاف أوساطها وناسها.

٦. اعتبار هرم ماسلو: تعتبر نظرية "ماسلو" في تدرج الحاجات من أفضل النظريات التي غطت الحاجات الإنسانية، والافتراض الأساسي لهذه النظرية هو أن الفرد إذا نشأ في بيئة لا تشبع حاجاته فإنه من المحتمل أن يكون أقل قدرة على التكيف، وعمله يكون معتلاً، وقام "ماسلو" بتقسيم الحاجات الإنسانية إلى خمس فئات تنتظم في تدرج هرمي بحيث يبدأ الشخص في إشباع حاجاته الدنيا ثم التي تعلوها. لقد قام "ماسلو" بتقسيم الحاجات إلى نوعين، (حاجات النقص) و(حاجات النمو)، أما حاجات النقص فتضم الثلاث فئات الدنيا وهي: (الفسيولوجية – الأمن – الاجتماعية)، لذلك فان حاجات النقص إذا لم يتم إشباعها فإنها ستؤدي إلى عدم نمو الفرد بشكل سليم نفسياً وبدنياً وعقلياً.

أما حاجات النمو فهي تضم الفئتين العليتين وهي: (التقدير – الابداع)، وإشباعها يساهم ويساعد في نمو الفرد وبلوغه مستوى الكمال البشري الذي يؤهله أن يكون إنساناً مبدعاً أو مبتكراً أو مفكراً. ومن المهم أن ندرك هذه القاعدة التي تساهم في تفهمنا لأكبر قدر من مراعاة الناس وبيئاتهم، فكلما كنا معترفين بحاجة الشخص الذي نتعامل معه ومدى حرص البشر الذي غُرس في نفوسهم سنتفهم ذلك؛ بل ويقودنا ذلك للاهتمام بتلك الحاجات وترتيبها معهم وفق أولويتها، والوصول إلى مناطق اتفاق مع صاحب كل حاجة حسب ما تقتضيه الحال، فمتعلمٌ متفوق ليس كفقير ملتاذ بالأرض في تفكيره ومنطلقاته واهتماماته وحرصه، فالاتصال معهما يختلف من حيث الإقناع والحوار، وكذلك من الناحية الاجتماعية والنفسية. فاعتبار ذلك يساعدنا في تقبلنا لكل فعل وردة فعل، مما يخلق انسجاماً أكثر واستيعاباً أكبر للناس، والتقبل هنا ليس بقصد القبول التام حتى ولو كان خطأ، لكنه تفهّم وتقبّل يساعد في الاحتواء الناشئ من تقدير الحاجة في الشخص المقابل.

ثالثاً: التعامل في القرآن الكريم [٦]

إنّ إدراك مفاهيم التعامل الحسن عبر العالِم بدقائق النفوس وما تتحدث به الأرواح من خطرات وهو الله سبحانه لا شك أنه يعطي العبد دفعةً للتطبيق والامتثال، فالعبد يوقن بإمكانية التطبيق لأن الله لن يأمر بمحال ويدعو لغير معقول، ثم هو (العبد) يرغب في إرضاء الرحمن، وتسابق روحُه جسدَه في تحصيل الأجور والفضائل، وهو ما كان في آيات الذكر الحكيم، ومن بين دفتي المصحف اخترت بعض الآيات والتي بشأن الواحدة منها خلْق ذات جديدة تستلهم مرامي الرب سبحانه في آلية تواصل الخلق مع بعضهم، وعسى الله أن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وإلى الآيات:

❖ "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ" الأعراف:١٩٩. قال القرطبي: (هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات). وقال السعدي: (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتنشرح له صدورهم. وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بِرّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فَصِلْهُ، ومن ظلمك فاعدل فيه).

❖ "وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ(٣٤)مَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ(٣٥)وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣٦)" فصلت. قال السعدي: (يقول تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} أي: لا يستوي فعل الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ}. ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصًا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب،

[٦] حين إيراد قول المُفسر، فالأصل أنها من تفسيره.

ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان إليه، فإن قطعك فَصِلْهُ، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غائبًا أو حاضرًا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فَطيِّبْ له الكلام، وابذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة). يقول سيد قطب[٧]: (وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات، وينقلب الهياج إلى وداعة، والغضب إلى سكينة، والتبجح إلى حياء على كلمة طيبة، ونبرة هادئة، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام!

ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجاً وغضباً وتبجحاً ومروداً، وخلع حياءه نهائياً، وأفلت زمامه، وأخذته العزة بالإثم.

غير أن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعطف ويسمح وهو قادر على الإساءة والرد، وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة أثرها، حتى لا يصور الإحسان في نفس المسيء ضعفا، ولئن أحس أنه ضعف لم يحترمه، ولم يكن للحسنة أثرها إطلاقا، وهذه السماحة كذلك قاصرة على حالات الإساءة الشخصية، لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين عنها، فأما في هذا فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها، أو الصبر حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

وهذه الدرجة، درجة دفع السيئة بالحسنة، والسماحة التي تستعلي على دفعات الغيظ والغضب، والتوازن الذي يعرف متى تكون السماحة ومتى يكون الدفع بالحسنى.. درجة عظيمة لا يلقاها كل إنسان. فهي في حاجة إلى الصبر. وهي كذلك حظ موهوب يتفضل به الله على عباده الذين يحاولون فيستحقون: "وَما يُلَقَّاها إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا، وَما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ".

إنها درجة عالية إلى حد أن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وهو الذي لم يغضب لنفسه قط وإذا غضب لله لم يقم لغضبه أحد، قيل له -وقيل لكل داعية في شخصه-:"وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ".

فالغضب قد ينزغ، وقد يلقي في الروع قلة الصبر على الإساءة، أو ضيق الصدر عن السماحة، فالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حينئذ وقاية تدفع محاولاته، لاستغلال الغضب، والنفاذ من ثغرته. إن خالق هذا القلب البشري، الذي يعرف مداخله ومساربه، ويعرف طاقته واستعداده، ويعرف من أين يدخل الشيطان إليه، يحوط قلب الداعية إلى الله من نزغات الغضب، أو نزغات الشيطان، مما يلقاه في طريقه مما يثير غضب الحليم إنه طريق شاق، طريق السير في مسارب النفس ودروبها وأشواكها وشعابها، حتى يبلغ الداعية منها موضع التوجيه ونقطة القياد).

[٧] ظلال القرآن.

❖ "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" آل عمران: ١٥٩. قال سيد قطب رحمه الله[٨]: (فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم؛ فجعلته صلى الله عليه وسلم رحيما بهم، لينا معهم، ولو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب، ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، والرعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء؛ ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه؛ ويجدون عنده دائما الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء، وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئا من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه؛ نتيجة لما أفاض عليه صلى الله عليه وسلم من نفسه الكبيرة الرحيبة: "فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر".

ليقرر المبدأ في مواجهة أخطر الأخطار التي صاحبت استعماله؛ وليثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة أيا كانت الأخطار التي تقع في أثناء التطبيق؛ وليسقط الحجة الواهية التي تثار لإبطال هذا المبدأ في حياة الأمة المسلمة، كلما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة، ولو كان هو انقسام الصف، كما وقع في "أحد" والعدو على الأبواب؛ لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ. ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق!

على أن الصورة الحقيقية للنظام الإسلامي لا تكمل حتى نمضي مع بقية الآية؛ فنرى أن الشورى لا تنتهي أبدا إلى الأرجحة والتعويق، ولا تغني كذلك عن التوكل على الله في نهاية المطاف: "فإذا عزمت فتوكل على الله. إن الله يحب المتوكلين").

❖ [وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا] الإسراء:٥٣. قال ابن كثير: (يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة فإنه إذ لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم فعداوته ظاهرة بينة ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة فإن الشيطان ينزغ في يده أي فربما أصابه بها). ويقول سيد[٩]: ("وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن" على وجه الإطلاق وفي كل مجال، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه؛

[٨] انظر المصدر السابق.
[٩] المصدر السابق.

بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة. فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيء يتلوها، فإذا جوّ الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء، والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، تندي جفافها، وتجمعها على الود الكريم.

"إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا" يتلمس سقطات فمه وعثرات لسانه، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات، وتقطع عليه الطريق، وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته).

❖ [وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ] البقرة:٨٣

❖ [الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] آل عمران:١٣٤. يقول سيد قطب بعد حديثه عن الآيات ١٠: (والجماعة التي يحبها الله، وتحب الله، والتي تشيع فيها السماحة واليسر والطلاقة من الإحن والأضغان، هي جماعة متضامة، وجماعة متآخية، وجماعة قوية، ومن ثم علاقة هذا التوجيه بالمعركة في الميدان والمعركة في الحياة على السواء في هذا السياق!)

❖ [لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ] الحجر:٨٨، وقال سبحانه: "وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"الشعراء:٢١٥. قال القرطبي: (واخفض جناحك للمؤمنين أي ألن جانبك لمن آمن بك وتواضع لهم. وأصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم قبضه على الفرخ، فجعل ذلك وصفا لتقريب الإنسان أتباعه. ويقال: فلان خافض الجناح، أي وقور ساكن، والجناحان من ابن آدم جانباه؛ ومنه واضمم يدك إلى جناحك وجناح الطائر يده). وقال السعدي: بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم، وقد فعل صلى الله عليه وسلم، ذلك كما قال تعالى: [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ] فهذه أخلاقه صلى الله عليه وسلم، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والاقتداء به، أن يكون كلا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟ وإن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد

[١٠] المصدر السابق.

رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمَّل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له).

❖ [وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا] مريم:٥٤. قال القرطبي: (صدق الوعد محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين، وضده وهو الخلف مذموم، وذلك من أخلاق الفاسقين والمنافقين على ما تقدم بيانه في (براءة)).

❖ [وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] الأنعام:١٥٢، ما أعظم هذه الوصايا، توصي باليتيم والقسط في الموازين، والعدل مهما كانت التبعات؛ لأن العدل لا يسير مع المصلحة، بل هو صفة ثابتة في ذات المؤمن، ووصى الله بالوفاء، وكانت وصايا للمؤمنين لعلهم يتذكرون.

❖ [وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(١٨)وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(١٩)] لقمان. يقول سيد قطب في معرض حديثه[١١]: (ويستطرد لقمان في وصيته التي يحكيها القرآن هنا إلى أدب الداعية إلى الله. فالدعوة إلى الخير لا تجيز التعالي على الناس؛ والتطاول عليهم باسم قيادتهم إلى الخير. ومن باب أولى يكون التعالي والتطاول بغير دعوة إلى الخير أقبح وأرذل. والصعر داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها. والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتنفير من الحركة المشابهة للصعر، حركة الكبر والازورار، وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار!

والمشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس؛ وهي حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء! ومع النهي عن مشية المرح، بيان للمشية المعتدلة القاصدة: "واقصد في مشيك" والقصد هنا من الاقتصاد وعدم الإسراف، وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال، ومن القصد كذلك، لأن المشية القاصدة إلى هدف، لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر، إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق.

والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته. وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيء الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه؛ يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق! والأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه بقوله: "إن أنكر

[١١] المصدر السابق.

الأصوات لصوت الحمير" فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهزء والسخرية، مع النفور والبشاعة، ولا يكاد ذو حس يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع، ثم يحاول، شيئا من صوت هذا الحمير).

رابعاً: الرسول الله صلى الله عليه وسلم هادياً مهدياً

بُعث رسول الله ليتمم مكارم الأخلاق، وكان قدوةً للعالمين، ومنه نستسقي أصول هذا الفنّ، وننعم به عبر بستانه البهيج "وإنك لعلى خلقٍ عظيم"، ولذا سوف نمر على بعضٍ مما نُسج من تلك المآثر، ونتلمس بعض الدروس منها لنخرج بمنهجٍ أصيل في التعامل، فإلى تلك العبر منثورة غير مرتبة:

❖ عن جابر رضي الله عنه يقول: "ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قط فقال لا" متفق عليه. ومن الدروس: الكرم البارز في خلق الرسول، وكون الدنيا ليست في قلبه، بل في يده، ينفقها متى كانت حاجة من حوله فيه، وهذا الداعية المربي فهو كريم معطاء سخي اليد.

❖ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانه ولا يُنزعُ من شيءٍ إلَّا شانه". وفي روايةٍ: بهذا الإسنادِ. وزاد في الحديثِ: ركِبتْ عائشةُ بعيرًا. فكانت فيه صعوبةٌ فجعلت تُرَدِّدُه. فقال لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: عليك بالرِّفقِ ثمَّ ذكر بمثله. رواه مسلم. ومن الدروس: عموم الرفق في حياة النبي عليه الصلاة والسلام في كل شيء ومع أي شيء، فبالرفق تزدان النفوس، وتلتئم القلوب، وتجتمع الأرواح.

❖ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيدِه! لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت لقطعتُ يدَها". رواه مسلم. ومن الدروس: العدل وعدم المحاباة، والإنصاف ولو كان مُراً أو مع ذي صلة وقربى.

❖ عن جرير رضي الله عنه قال: "ما رآني رسول الله إلا وتبسم في وجهي". رواه البخاري. ومن الدروس: الابتسامة الدائمة منه عليه الصلاة والسلام، ونلحظ لفظ الصحابي (ما رآني)، وهذا دلالة الاستمرار، ومع أشغاله واهتماماته الواسعة عليه الصلاة والسلام إلا أن أصحابه لم يفتقدوه حتى في تهلل أسارير وجهه، وتأمل معي ما قاله عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه، قال "ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم" رواه الترمذي.

❖ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: "نعم الرجلُ عبد الله، لو كان يصلي بالليل". قال سالم: فكان عبد الله لا ينام من الليل إلا قلْيلا. رواه البخاري. ومن الدروس: التلطف في الإرشاد، والبدء بالثناء قبل الوصية، وعرض الوصية بصيغة التمني وليس الأمر.

❖ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غزوتُ مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قال: فتلاحق بي النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وأنا على ناضح لنا قد أعيا، فلا يكادُ يسيرُ، فقال لي: ما لبعيرِك؟ قال: قلتُ: عَيِيَ، قال: فتخلَّفَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فزجرَه ودعا له، فما زال بين يدي الإبلِ قُدَّامَها يَسيرُ، فقال لي: كيف ترى بعيرك؟ قال: قلت: بخيرٍ، قد أصابتْه بركتُك، قال: أفتَبِيعُنيه. قال: فاستحييتُ، ولم يكن لنا ناضحٌ غيرُه، قال: فقلتُ: نعم، قال: فَبِعْنيه. فَبِعْتُه إياه على أن لي فقارَ ظَهرِه حتى أبلُغَ المدينةَ، قال: فقلتُ: يا رسولَ اللهِ، إني عروسٌ، فاستأذنتُه فأذِنَ لي، فتقدَّمتُ الناسَ إلى المدينةِ حتى أتيتُ المدينةَ، فلقيني خالي، فسألني عن البعيرِ، فأخبرتُه بما صنعتُ فيه، فلامني، قال: وقد كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال لي حين استأذنتُه: هل تزوجتَ بكرًا أم ثيِّبًا. فقلتُ: تزوجت ثيِّبًا، فقال: هلا تزوجت بكرًا تلاعبُها وتلاعبُك. قلتُ: يا رسولَ اللهِ، تُوُفِّيَ والدي، أو استشهدَ، ولي أخواتٌ صغارٌ، فكرهتُ أن أتزوجَ مثلُهن فلا تؤدِّبُهن ولا تقومُ عليهن، فتزوجتُ ثيِّبًا لتقومَ عليهن وتؤدِّبَهن، قال: فلما قدِمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المدينةَ، غدوتُ عليه بالبعيرِ، فأعطاني ثمَنَه وردَّه عليَّ. قال المغيرةُ: هذا في قضائِنا حسنٌ لا نرى به بأسًا. رواه البخاري. ومن الدروس: قُرب الرسول صلى الله عليه وسلم من أصحابه في حضرهم وفي سفرهم واستثمار الأوقات في سؤالهم عن احتياجاتهم النفسية والاجتماعية فضلاً عن الشرعية، وحرصه على صلاح دينهم ودنياهم، فالمربي ليس جامداً أو لا تهمه سوى قضايا الدعوة فقط، بل مرن مع جميع الاهتمامات، وشموليته تتسع لجميع الاحتياجات النفسية والاجتماعية والمالية وغيرها وهذا لا شك له تأثير على المدى البعيد وحتى القريب في العطاء الدعوي للمتربي.

❖ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "من نفَّسَ عن مؤمنٍ كُربةً من كُرَبِ الدنيا، نفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ. ومن يسّرَ على معسرٍ، يسّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ. ومن سترَ مسلمًا، ستره اللهُ في الدنيا والآخرةِ" رواه مسلم. ومن الدروس البازرة: ضرورة الوقوف مع كل مؤمن مكروب حتى تُفرج كربته وهذا في شأن المؤمن عموماً فكيف بالمدعو وطالب العلم وحافظ القرآن.

❖ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم يوما، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ما يرد عليه، قالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة، فقال: يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا وشتت

أمرنا وعبت ديننا وفضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا ما ينتظر الأمثل صيحة الحبلى بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلا، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشرا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفرغت قال: نعم، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {حم تنزيل من الرحمن الرحيم} حتى بلغ {فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود}، فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا؟ قال: لا، فرجع إلى قريش فقالوا: ما وراءك؟ فقال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك؟ قال: نعم، قال: والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه قال أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا: ويلك يكلمك رجل بالعربية فلا تدري ما قال، قال: لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة. مجمع الزوائد. ومن الدروس: أهمية الإنصات والاستماع للمقابل مهما كانت حدة خطابة وسوء عباراته فضلاً عن المسلم والمدعو، ونلحظ أن رسول الله استمع لعتبة حتى قال له "أفرغت؟" وفي روايةٍ "أفرغت يا أبا الوليد؟" فناداه بأحب الأسماء له، ونلحظ كذلك أن رسول الله لم يُستفز، بل توجه مباشرة صوب دعوته مع لين الحديث معه، فالداعية المربي قد نذر نفسه وجاهه وبيانه لله تبارك وتعالى.

❖ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما نقُصتْ صدقةٌ من مالٍ وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا. وما تواضَع أحدٌ للهِ إلَّا رفعه اللهُ" رواه مسلم. ومن الدروس: أن المنطق الدنيوي يفرض أن التواضع يُسقط قدر صاحبه، والعفو يُذهب هيبته، لكن المفهوم الإسلامي العظيم يُعطي نظرة أخرى لمن تواضع ولمن عفى، فيرفعه الله بالأولى ويعزه بالثانية، وهناك لطيفة أن كل ذلك ليس بحثاً واستدراراً لعواطف الخلق لكنه رجاء ما عند الله وطلب عفوه "من تواضع لله".

❖ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ". رواه البخاري، وفي رواية "إذا حدَّثَ كذبَ وإذا عاهدَ غدرَ وإذا خاصمَ فجرَ"[١٢] وعند مسلم "وإن صام وصلى وزعم أنه مسلمٌ". ومن الدروس: أن أفطن الناس وأحسنهم إسلاماً من كان بينه وبين كل صفة من هذه الصفات كما بين المشرق والمغرب، فهل يعقل أن يكون الداعية المربي يكذب في حديثه أو يخون أمانته أو يغدر في عهده أو يفجر في خصومته أو يخلف وعده؟!

[١٢] تفسير ابن كثير

❖ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ لأشجّ عبدِ القيسِ: "إنَّ فيكَ لَخَصْلَتينِ يحبُّهُما اللَّهُ الحِلمُ والأناةُ" رواه مسلم. ومن الدروس: أهمية الثناء والتعزيز الإيجابي لمن برزت فيه خصلة حميدة، وهذا يزيد في نمائها وظهورها، وكذلك أن يكون المربي لماحاً لمن معه فلا تفوته محاسنهم.

❖ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أحسنُ الناسِ خُلُقًا، وكان لي أخٌ يُقالُ له أبو عُمَيرٍ، قال: أحسِبُه -فَطيمٌ، وكان إذا جاء قال: "يا أبا عُمَيرٍ، ما فعَل النُّغَيرُ". نُغَرٌ كان يَلعَبُ به، فربما حضَر الصلاةَ وهو في بيتِنا، فيَأمُرُ بالبِساطِ الذي تحتَه فيُكنَسُ ويُنضَحُ، ثم يَقومُ ونَقومُ خلفَه فيُصلِّي بنا. رواه البخاري. ومن الدروس: اختيار الجملة المناسبة في التعامل مع الأطفال حيث السهولة والإيجاز، والسجع، وكذلك نزول الكبير للصغير وسؤاله عن اهتماماته ومشاركته فيها.

❖ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال للنبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: أَوصِني، قال: "لا تَغضَبْ". فردَّد مِرارًا، قال: "لا تَغضَبْ". رواه البخاري. ومن الدروس: البعد كل البعد عن الغضب وأسبابه، فالنهي عن الشيء نهي عما يوصل إليه فكل من عرف طريقاً على نفسه للغضب فإياه وذلك الطريق أن يصيب قوماً بجهالة فيكون نادماً، فإياك وما يُعتذر منه، وقد نُهي عن الغضب لمآلاته الوخيمة من هلاك للأنفس والأموال وقطع للأرحام والصلات وفساد للصداقات والصلات.

❖ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومًا قال: "يا غلامُ، إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفَظِ اللهَ يحفَظْك، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ، واعلمْ أنَّ الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، وإنِ اجتمعوا على أن يضُرُّوك بشيءٍ لم يضُروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ. رواه الترمذي. ومن الدروس: إرداف النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه واستثماره تلك اللحظات المباركات وذلك كان مع ابن عباس ومعاذ وغيرهم، وكذلك الوصية المناسبة في الوقت المناسب فنلحظ أن ابن عباس كان غلاماً ورسول الله يؤسس عنده قضايا عقدية في غاية الأهمية وهذا يدفع المربي أن يستثمر وجود المتربي معه وتوجيه تلك النصائح الفريدة لاسيما في الموضوعات المهمة.

❖ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: بينما النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في مجلسٍ يُحدِّثُ القومَ، جاءه أعرابيٌّ فقال: متى الساعةُ؟ فمضى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُحدِّثُ، فقال بعضُ القومِ: سمِع ما قال فكَرِه ما قال. وقال بعضُهم: بل لم يَسمَعْ. حتى إذ قضى حديثَه قال: "أينَ -أراه -السائلُ عن الساعةِ". قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ، قال: "فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظِرِ الساعةَ". قال: كيف إضاعتُها؟ قال: "إذا وُسِّد الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظِرِ الساعةَ". رواه البخاري. ومن الدروس: إبراز مكانة مجالس العلم والوعظ بالتطبيق الفعلي، وتأكيد أدب الإنصات والاستماع إذ لم يرد على الأعرابي أثناء الحديث، والاهتمام أيضا بالسائل مهما كان، ثم الإجابة تكون أعمق من السؤال أحيانا، إذ النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن وقت الساعة بضياع الأمانة وكأنه يخبر ويرشد في آنٍ واحد فأخبر بأن الأمانة ستضيع وأرشد إلى أهميتها والتمسك بها.

❖ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ألا تستعمِلُني؟ قال: فضرب بيدِه على منكبي. ثم قال "يا أبا ذرٍّ! إنك ضعيفٌ. وإنها أمانةٌ. وإنها يومَ القيامةِ، خزيٌ وندامةٌ. إلا من أخذها بحقِّها وأدَّى الذي عليهِ فيها". رواه مسلم. ومن الدروس: النصح لكل مسلم بلا مجاملة أو تزويق، بل بصدق وحق ينتبه له المنصوح وإن أخذ في نفسه شيئاً، ومن الدروس معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه وطبائعهم، إذ لو لم يكن يعايشهم ما استطاع أن يدرك خصائص أبي ذر رضي الله عنه وهو الذي يقول عنه رضي الله عنه: ما أقلت الغبراء وأظلت الخضراء أصدق لسانا من أبي ذر، إذن ها هو رسول الله عليه السلام يعطي نموذجاً فريدا للمربي الذي يعرف عن صاحبه مواطن قوته ومواطن ضعفه.

❖ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَوْ عَنْ غَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِلَالًا أَنْ يُؤَذِّنَ يَوْمَ الْفَتْحِ عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ قَاعِدَانِ، أَحَدُهُمَا بِجَنْبَيْ صَاحِبِهِ، يُشِيرَانِ إِلَى بِلَالٍ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ، فَقَالَ الْآخَرُ: إِنْ يَكْرَهَهُ اللَّهُ يُغَيِّرْهُ. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية للحافظ ابن حجر. ومن الدروس: اختيار الأنسب للمهمة، والقائد لا يشترط أن يتصدر كل شيء.

❖ قال ابن إسحاق في معرض حديثه عن غزوة بدر: فحدثت عن رجال من بني سلمة، أنهم ذكروا: أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأي. فنهض رسول

الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس، فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب فغورت، وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه، فملئ ماء، ثم قذفوا فيه الآنية. سيرة ابن هشام وله شاهد عند ابن العربي في أحكام القرآن. ومن الدروس: أن الرسول صلى الله عليه وسلم أعطى مساحة لأصحابه في النقد البنّاء مع أنه الموحى إليه، فهذا الصحابي الجليل لو لم يتيقن بأن صدْر رسول الله سيسعه تالله ما تجرأ لِبثِّ هذا الرأي، ودلالة ذلك حين سأل رسول الله هل هذا أمر إلهي منزل فنسلم له، أم رأيك يا رسول الله فنشاركك فيه، وهكذا ديدن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبتدئون بطرح آرائهم ومشورتهم أو يستجيبوا لرسول الله في ذلك، فهذا سلمان الفارسي يقدم مشورته في غزوة الأحزاب وهذا رسول الله يستشيرهم في بدر وأحد وكل ذلك استجابة لقول الحق تعالى: "وشاورهم في الأمر".

❖ قال ابن إسحاق: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا، ففيه الدية مغلظة، مئة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها. يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم الآية كلها. ثم قال: يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وأهم الدروس: القدوة لا تتغير مبادئه مهما تغيرت الأحوال، فرسول الله خرج من مكة مظلوماً مقهوراً ورجع لها عزيزاً منصوراً، لو كانت تلك الحالة عند أحد من البشر لانتقم وأخذ بحقه ولا ملامة عليه، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هم الرسالة ويقتضي هذا الهم مبادئ عظيمة، منها تحييد حظوظ النفس وهذا ما فعله رسول الله حين حيّد نفسه رغم أنه شعار المؤمنين ورأسهم وسيدهم، وقدم المبدأ الذي تناغم مع شخصيته حال ضعفه وحال قوته فعفى وصفح لأنه أخذ بأمر الله "خذ العفو".

❖ قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: ما منعنا أن نشهد بدرًا إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدًا. فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة. فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد، فلما جاوزناهم أتينا رسول الله فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم فيما ترى؟ قال: "نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم" المستدرك للحاكم. ومن الدروس: أن التربية على المبدأ أولى من التربية على المكاسب المادية، فرسول الله كان في أحوج الناس لرجال في النصرة، لكنه أحوج إلى بناء أولئك الرجال.

❖ قال ابن إسحاق: وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار. سيرة ابن هشام. قال ابن حجر في الفتح: قوله: (باب كيف آخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين أصحابه) تقدم في مناقب الأنصار "باب آخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار" قال ابن عبد البر: كانت المؤاخاة مرتين: مرة بين المهاجرين خاصة وذلك بمكة، ومرة بين المهاجرين والأنصار فهي المقصودة هنا. وذكر ابن سعد بأسانيد الواقدي إلى جماعة من التابعين قالوا: لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة آخى بين المهاجرين، وآخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة، وكانوا يتوارثون، وكانوا تسعين نفسا بعضهم من المهاجرين وبعضهم من الأنصار، وقيل: كانوا مائة، فلما نزل: وأولو الأرحام بطلت المواريث بينهم بتلك المؤاخاة. ومن الدروس: أن البداية الحقيقية تبدأ من صلة العبد مع ربه تبارك وتعالى ثم لا يكون هناك استقرار وسعادة وقوة دون الألفة والمؤاخاة، وهو العمل الثاني للرسول عليه السلام مباشرة بعد بناء المسجد، فالمربي يبدأ بتأسيس الإيمان ثم يشرع بمد جسور الأخوة والألفة بينه وبين أصحابه وبينهم مع بعضهم.

❖ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لمعاذِ بنِ جبلٍ، حين بعثَه إلى اليمنِ: "إنك ستأتي قومًا أهلَ كتابٍ، فإذا جئتَهم فادْعُهم إلى: أن يشهدوا أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمدًا رسولُ اللهِ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أن اللهَ قد فرض عليهم خمسِ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبِرْهم أن اللهَ قد فرضَ عليهم صدقةً، تؤخذُ من أغنيائِهم فتردُّ على فقرائِهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائمِ أموالِهم، واتقِ دعوةَ المظلومِ، فإنه ليس بينَه وبين اللهِ حجابٌ". رواه البخاري. ومن الدروس: تفعيل رسول الله لأصحابه وتوظيف الطاقات المناسبة فيما يناسبها، وتفعيلهم إيجابياً لصالح أمتهم، وكذلك الوصية الفاعلة العملية التي تكون ملهمة لصاحبها من حيث المبدأ والوسيلة والتحذير، ومن الدروس أيضاً المعرفة التامة بمستويات التدين عند الأقوام وما يناسبهم في الطرح الدعوي والأولويات التي تتلاءم مع احتياجاتهم.

❖ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أُتِيَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بقَدَحٍ فشرب منهُ، وعن يمينِهِ غلامٌ أصغرُ القومِ، والأشياخُ عن يسارِهِ، فقال: "يا غلامُ، أتأذنُ لي أن أُعطيهِ الأشياخَ". قال: ما كنتُ لأُوثِرَ بفضلي منكَ أحدًا يا رسولَ اللهِ، فأعطاهُ إياهُ. رواه البخاري. ومن الدروس: تطبيق السنة عملياً وهي البدء باليمين، وعدم استصغار من في المجلس مهما كان، والاحتفاظ بحق الجميع أياً كانوا، وإيضاح الأسباب المعتبرة عند الرغبة في صنع شيء لم يعتاد عليه القوم، وعدم استغلال العمر أو الجاه في الإصلاح والإقناع.

❖ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كان زميلُهُ يومَ بدرٍ عليٌّ وأبو لبابةَ فإذا حانت عقبةُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالا: اركب يا رسولَ اللهِ حتى نمشي عنكَ فيقولُ: "ما أنتما بأقوى مِنِّي ولا أنا بأغنى عن الأجرِ منكما". رواه أحمد. ومن الدروس: المشاركة الحياتية في شتى متطلباتها، وعدم الترفع عن أي مهام مهما كان الشخص ومهما كانت المهمة.

❖ عن صفية بنت حيي رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أنَّها جاءت إلى رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ تزورُهُ وَهوَ معتَكفٌ في المسجدِ في العشرِ الأواخرِ من شَهرِ رمضانَ فتحدَّثَت عندَهُ ساعةً منَ العشاءِ، ثمَّ قامَت تنقلبُ فقامَ معَها رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ يقلبُها حتَّى إذا بلغَت بابَ المسجدِ الَّذي كانَ عندَ مسْكنِ أمِّ سلمةَ زوجِ النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فمرَّ بِهما رجلانِ منَ الأنصارِ فسلَّما على رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ ثمَّ نفذا، فقالَ لَهما رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: "على رسلِكما إنَّها صفيَّةُ بنتُ حييٍّ"، قالا: سبحانَ اللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ وَكبرَ عليْهما ذلِكَ، فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: "إنَّ الشَّيطانَ يجري منَ ابنِ آدمَ مجرى الدَّمِ وإنِّي خشيتُ أن يقذفَ في قلوبِكما شيئًا". رواه ابن ماجه. ومن الدروس: قطع طريق الشيطان على قلوب المؤمنين إن رأوا ما يريبهم مهما كان الشخص، وأن العبادة مهما كان دافع الانقطاع فيها لله؛ لكن لا ينقطع العبد عن أهله في زيارتهم ومؤانستهم، وتسليتهم، وإظهار ما عند الشخص لا يقتضي خوفه أو يستلزم أن في ريبة.

❖ قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، فكان ذلك همّاً عند النبي -صلى الله عليه وسلم- كيف يجتمع الناس للصلاة، حتى جاء أمر الله - عز وجل -، فعن أبي عميرٍ بن أنسٍ عن عمومةٍ له من الأنصار قال: "اهتم النبي -صلى الله عليه وسلم- للصلاة كيف يجمع الناس لها؟ فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القنع يعني الشبور (هو البوق كما في رواية البخاري) قال الألباني: إسناده حسن، انظر فقه السيرة بتحقيق الألباني (١/١٨١). ومن الدروس: إشراك الجميع في القرارات العامة، وإكسابهم المعارف، وإبراز المواهب المغمورة.

❖ عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا" النساء:٥٨ قال: نزلت في عثمان بن طلحة حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة ودخل به الكعبة يوم الفتح فخرج

صلى اللَّه عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح وقال صلى اللَّه عليه وسلم: "خذوها يا بني طلحة بأمانة اللَّه سبحانه لا ينزعها منكم إلا ظالم". المقاصد الحسنة. ومن الدروس: احترام المكان، وأداء الأمانات، وعدم الانتقام للنفس حين القدرة.

❖ عن يزيد بن نعيم الأسلمي قال: أنَّ ماعزًا أتَى النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأقرَّ عنده أربعَ مرَّاتٍ فأمر برجمِه، وقال لهزَّالٍ: "لو سترتَه بثوبِك كان خيرًا لك". صحيح الترغيب والترهيب. ومن الدروس: تشوّف الإسلام للإصلاح والستر، وهو أولى من إقرار المذنب على خطئه، أو إقامة الحد عليه.

❖ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطَب رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم على جُلَيبيبٍ امرأةً مِن الأنصارِ إلى أبيها قال: حتَّى أستأمِرَ أمَّها قال: فنَعم إذًا فذهَب إلى امرأتِه فذكَر ذلك لها فقالت: لا ها اللهِ إذًا وقد منَعْناها فلانًا وفلانًا، قال: والجاريةُ في سترِها تسمَعُ فقالت الجاريةُ: أترُدُّونَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمرَه إنْ كان قد رضيه لكم فأنكِحوه قال: فكأنَّها حلَّت عن أبويها فقالا: صدَقْتِ فذهب أبوها إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: فقال: إنْ رضيتَه لنا رضيناه؟ فقال: "إنِّي أرضاه"، فزوَّجها ففزِع أهلُ المدينةِ وخرَجتِ امرأةُ جُليبيبٍ فيها فوجَدَتْ زوجَها وقد قُتِل وتحتَه قتلى مِن المشركينَ قد قتَلهم، قال أنسُ بنُ مالكٍ: فما رأَيْتُ بالمدينةِ ثيِّبًا أنفَقَ منها. رواه ابن حبان. ومن الدروس: قمع معالم الجاهلية عبر التطبيق دون التنظير المجوّف، واعتبار مقياس الشريعة في الحكم على الأشخاص وهو التقوى، وليست اعتبارات الناس المحدثَة. وقد تزوجت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها قبل زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم بزيد بن الحارثة رضي الله عنه وهو مولى، وهي القرشية ذات الحسب والنسب، وهذا تطبيق لهذا المفهوم العظيم، وتأمل هذا الحديث العظيم أنَّ نافعَ بنَ عبدِ الحارثِ لقِيَ عمرَ بعُسْفانَ. وكان عمرُ يستعملُه على مكةَ. فقال: من استعملتَ على أهلِ الوادي؟ فقال: ابنَ أبْزَى. قال: ومنِ ابنُ أبْزَى؟ قال: مولى من موالينا. قال: فاستخلفتُ عليهم مولًى؟ قال: إنه قارئٌ لكتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ. وإنه عالمٌ بالفرائضِ. قال عمرُ: أما إنَّ نبيَّكم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد قال: "إنَّ اللهَ يرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويضعُ به آخرينَ". رواه مسلم.

الرسول والأخطاء

الخطأ موجود في كنه النفس البشرية، ومن أدرك ذلك اتسعت مظلته لأكبر قدر من البشر وأخطائهم، وهذا لا شك أنه أصلٌ عند رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهو القائل فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون". رواه الترمذي. هذا الموضوع فرعٌ مما سبق، وخُص لأهميته؛ لأن المربي المعايش لمن معه لن تكون معايشته فقط لرؤية أحسن الطباع، والنصح بالمثل؛ بل يرى مشين الأخلاق وشاذ السلوك، فيعدلها بأحسن الأساليب، وأجود الطرائق؛ لأن التربية تقويم شامل، فالمربي يُعلم جديداً ويعزز موجوداً ويعدل قديماً، وقد أعطى رسول الله المثال الأوفى والأسمى في كيفية تعديل الأخطاء ورعاية النفوس، وسوف نتناول شيئاً من هذه المنهجية عبر بعض النماذج، إذ قد نجد اختلاف طريقة التعامل مع الخطأ تختلف من موقف لموقف، وهذا ليس ضرباً من العبث، وحاشاه عليه الصلاة والسلام؛ بل إدراك وحسن روّية إذ كل موقف له ملابساته، وصاحبه يختلف عن الآخر من حيث العلم والعمر والجنس والبيئة وغيرها، فمن سبر مواقفه عليه الصلاة والسلام يخرج بمنظومة متكاملة تفسر له طبائع الناس، وتعطيه مفاتيح التعامل معهم والطرق المثلى للتعاطي مع مشكلاتهم، وكيفية إدارة الأزمات، فإلى المواقف:

❖ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: إن النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم دخل المسجد، فدخل رجلٌ فصلَّى، ثم جاء فسلم على النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فرد النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عليه السلام، فقال: ارجع فصل، فإنك لم تصل. فصلَّى، ثم جاء فسلم على النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقال: ارجع فصل، فإنك لم تصل. ثلاثا، فقال: والذي بعثك بالحق فما أحسن غيره، فعلمني، قال: "إذا قمت إلى الصلاة فكبر واقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها" رواه البخاري. ومن الدروس: عدم تأخير البيان لحين زوال وقت حاجته، واستخدام أسلوب التشويق في التعليم حيث قال له: "ارجع فصل"، مع أنه قد صلى، لكنه يقصد أنه لم يصل الصلاة الصحيحة، فأرجعه دون إخباره حتى حَفَزَهُ إلى السؤال والاستفصال، وأيقن رسول الله حينها بأنه قد أتى سائلاً محتاجاً فأجابه رسول الله بإجمال حيث ذكر ما يجب فقط دون التبحر في السنن وذلك دلالة على أهمية التدرج في التعليم وفي التعلم.

❖ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا في غَزاةٍ، قال -سُفيانُ مرةً: في جيشٍ- فكسَع رجلٌ من المهاجرينَ رجلًا من الأنصارِ، فقال الأنصاريُّ: يا لَلأنصارِ، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرينَ، فسمِع ذاك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: "ما بالُ دَعوى جاهليةٍ". قالوا: يا رسولَ اللهِ، كسَع رجلٌ من المهاجرينَ رجلًا من الأنصارِ، فقال: "دَعوها فإنها مُنتِنَةٌ". فسمِع بذلك عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ فقال: فعَلوها، أما واللهِ لئِنْ رجَعْنا إلى المدينةِ

لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فبلَغ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقام عُمَرُ فقال: يا رسولَ اللهِ، دَعْني أضرِبْ عنُقَ هذا المنافقِ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: "دعه، لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمدًا يقتُلُ أصحابَه". وكانتِ الأنصارُ أكثرَ من المهاجرينَ حين قدِموا المدينةَ، ثم إن المهاجرينَ كثُروا بعدُ. رواه البخاري. ومن الدروس: حرص النبي الشديد على قمع واستئصال مآثر الجاهلية وخاصة العصبية القبلية والاعتبار بالنسب والنسل وكان رسول الله كما رأينا وسنرى شديد الموقف، واضح البيان، قوي النبرة، صادق اللهجة، لا يقبل بأنصاف الحلول في هذا الموضوع؛ لأنه من الناحية الاجتماعية يوازن القوى بين أفراد المجتمع وبه تستوي اعتبارات الناس فيما بينهم بالأمور الدنيوية ويعلو ما يريد الله وهو الاعتبار بالتقوى، قال الله:" يا أيها الناس إنا جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، ومن الدروس: حرص الرسول عليه السلام على سمعة الدعوة فهي أولوية عنده دون غيرها من المقاصد في تلكم الحالة الزمانية، قال عليه السلام:" دعه، لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمدًا يقتُلُ أصحابَه" مع ضراوة ما يصنع المنافقون، إلا أنه لازالت دعوة الإسلام في بكورها فلا يفتن الناس عن دين الإسلام في سماعهم بقتل رسول الله لمن معه، وهذا فقه دعوي تربوي عميق، فقد ينحي الداعية والمربي بعض القرارات الهامة لتحصيل وتحقيق مصالح أهم ودرء وتقليل مفاسد أعظم.

❖ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: لقيتُ أبا ذرٍّ بالربذة وعليه حُلَّةٌ وعلى غُلامِه حُلَّةٌ فسألتُه عن ذلك فقال: إني سابيتُ رجلاً فعيرتُه بأمِه فقال لي النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذرٍّ، أعيرتَه بأمِه، إنك امْرُؤٌ فيك جاهليةٌ، إخوانُكم خَوَلُكم، جعلَهم اللهُ تحتَ أيديكم، فمن كان أخوه تحتَ يدِه، فلْيُطعِمْه مما يأكُلُ، ولْيُلْبِسه مما يَلبَسُ، ولا تُكلِّفوهم ما يَغلِبُهم، فإن كلَّفتُموهم فأعينوهم". رواه البخاري. ومن الدروس: النصيحة المباشرة والتأفف من عمل الجاهلية إذا ما قارف المذنب ذلك، ونرى رسول الله كما عرجنا في الموقف السابق واضحاً صريحاً في هذا الموقف الاجتماعي الذي لو تمادى فيه رسول الله أو لم يعجل بتلك البيانات الصريحة لربما استشرت الجاهلية من جديد وطمست معالم الهدى والنور، وهذا ما يجب على الداعية المربي أن يزيل كل صور الجاهلية من مجتمعه لاسيما تلك التي استنارت بالعلم والهدى ثم اعتلتها براثن هذه الجاهلية المحدثة.

❖ عن عقبة بن عمرو بن ثعلبة أبو مسعود رضي الله عنه قال: كنتُ أضرب غلامًا لي. فسمعتُ من خلفي صوتًا "اعلمْ، أبا مسعودٍ! لله أقدرُ عليك منك عليه"، فالتفتُّ فإذا هو رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! هو حُرٌّ لوجه اللهِ. فقال: "أما لو لم تفعلْ، للفحتْك النارُ، أو لمسَّتْك النارُ". رواه مسلم. ومن الدروس: كلما كان الخطأ أعظم كانت العناية بتصحيحه أشد، ولا شك أن ظلم الناس وأخذ حقوقهم مما عظمت شناعته الشريعة ومما يتعارض نصاً مع مقاصدها، ونلحظ أيضا الاستجابة السريعة من الصحابي لهذه الموعظة.

❖ عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟! فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا أبا بكر:" لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك" فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي. رواه مسلم. وهذا المشهد العظيم ينبئ العالمين عن أحد الخطوط الحمراء في هذه الشريعة الغراء، ويؤكد ما سبق القول عنه بأن الاعتبار الأوحد في الحكم على الأشخاص هو دينهم، وانظر إلى قدر أبي بكر رضي الله عنه ومكانته العظيمة في نفس رسول الله، بل كان رسول الله يعاتب عمر الفاروق رضي الله عنه خير الأمة بعد أبي بكر في أبي بكر رضي الله عنه، ومع ذلك لم يُخفِ عنه صلى الله عليه وسلم مآلات ما ذكر وخطورة ما قال. ثم لا يفوتنا تلك النفس العظيمة عند أبي بكر رضي الله عنه الذي وجد في نفسه من تلك المقالة قبل أن يشكو أحدهم، فبادر لرسول الله يسأله، ولا ننسى أيضاً تلك النفوس المهذبة التي لم تنس سابقة أبي بكر وفضله، وعفت عنه دون أدنى اعتذار.

❖ عن أبي محذورة رضي الله عنه سمرة بن معير قال: نعَم خرجتُ في نفَرٍ، وكنَّا في بعضِ طريقِ حُنَيْنٍ، مَقفَلَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ من حُنَيْنٍ، فلقينا رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ببعضِ الطَّريقِ، فأذَّنَ مؤذِّنُ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بالصَّلاةِ عندَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فسمِعنا صوتَ المؤذِّنِ ونحنُ متنَكِّبونَ، فصرَخنا نحكيهِ ونستَهْزئُ بِهِ فسمِعَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ الصَّوتَ فأرسلَ إلينا إلى أن وُقِفنا بينَ يديهِ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: أيُّكمُ الَّذي سَمِعْتُ صوتَهُ قدِ ارتفَع؟ فأشارَ القومُ كلُّهم إليَّ وصدقوا، فأرسلَ كُلَّهُم وحبسَني، وقال قُم فأذِّنْ فقمتُ ولا شيءَ أكْرَهُ إليَّ من رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ولا مِمَّا يأمُرُني بِهِ، فقُمتُ بينَ يدَي رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فألقى عليَّ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ التَّأذينَ هوَ بنَفسِهِ، قالَ قلِ اللَّهُ أكْبرُ اللَّهُ أكْبرُ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، أشهَدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، حيَّ على الصَّلاةِ حيَّ على الصَّلاةِ، حيَّ على الفلَّاحِ حيَّ على الفلَّاحِ، اللَّهُ أكْبرُ اللَّهُ أكْبرُ، لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ثمَّ دعاني حينَ قَضيتُ التَّأذينَ فأعطاني صُرَّةً فيها شيءٌ مِن فضَّةٍ ثمَّ وضعَ يدَهُ على ناصيةِ أبي مَحذورةَ، ثمَّ أمرَّها على وجهِهِ، ثمَّ بينَ ثَدييهِ، ثمَّ على كَبدِهِ، حتى بلغت يدُ رسولِ اللَّهِ سُرَّةَ أبي محذورةَ، ثمَّ قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ بارَكَ اللَّهُ فيكَ وبارَكَ عليكَ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ مرني بالتَّأذينِ بمَكَّةَ، فقالَ قد أمرتُكَ بِهِ، وذَهَبَ كلُّ شيءٍ كانَ لرسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مِن كراهةٍ، وعادَ ذلِكَ كلُّهُ محبَّةً لرسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، فقَدِمْتُ على عتَّابِ بنِ أَسيدٍ عاملِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فأذَّنتُ معَهُ بالصَّلاةِ عن أمرَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ، وأخبرَني ذلِكَ مَن أدرَكْتُ من أَهْلي ممَّا أدرَكَ أبا مَحذورةَ على نحوِ ما أخبرَني عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَيْريزٍ. عمدة التفسير. ومن أبرز ما نستفيد: قد لا نحتاج في توجيه المنصوح نصحاً بل توليته أمراً هو فيه أولى

موهبةً ولو كان أبعد محبةً، ومن الدروس: مراعاة الرسول للمواهب وتوظيفها رغم خطأ صاحبها في خدمة الإسلام، والمقاييس في التعيين لا تحتاج لوسائط، وهنا الرسول عليه الصلاة والسلام قدم أبا محذورة لإسلامه ثم حسن أدائه.

❖ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أصابَ رسولُ اللهِ الغنائمَ يَومَ حُنَينٍ، وقسمَ للمُتألِّفينَ مِن قُرَيشٍ وسائرِ العربِ ما قسمَ، ولَم يكُن في الأنصارِ شيءٌ مِنها، قليلٌ ولا كثيرٌ، وجدَ هذا الحَيُّ مِن الأنصارِ في أنفسِهِم حتَّى قال قائلُهُم: لَقيَ — واللهِ — رسولُ اللهِ قَومَهُ. فمشَى سعدُ بنُ عُبادةَ إلى رسولِ اللهِ فقالَ: يا رسولَ اللهِ إنَّ هذا الحَيَّ مِن الأنصارِ وَجدوا علَيكَ في أنفسِهِم؟ قالَ: فيمَ؟ قالَ: فيما كانَ مِن قَسمِكَ هذهِ الغنائمِ في قَومِكَ وفي سائرِ العربِ، ولَم يكُن فيهِم مِن ذلكَ شيءٌ. قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: فأينَ أنتَ مِن ذلكَ يا سعدُ؟ قالَ: ما أنا إلَّا امرؤٌ مِن قَومي. فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ: اجمَعْ لي قَومَكَ في هذهِ الحظيرةِ فإذا اجتمَعوا فأعلِمني، فخرجَ سعدٌ فصرخَ فيهِم فجمعَهم في تلكَ الحظيرةِ، حتَّى إذا لَم يبقَ مِن الأنصارِ أحدٌ إلَّا اجتمعَ لهُ أتاهُ، فقالَ: يا رسولَ اللهِ اجتمعَ لكَ هذا الحَيُّ مِن الأنصارِ حَيثُ أمرتَني أن أجمعَهُم. فخرجَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ علَيهِ وسلَّمَ، فقامَ فيهِم خطيبًا فحمِدَ اللهَ وأثنَى علَيهِ بما هوَ أهلُهُ، ثمَّ قالَ: يا معشرَ الأنصارِ ألَم آتِكُم ضُلَّالًا فهداكُمُ اللهُ، وعالةً فأغناكُمُ اللهُ، وأعداءً فألَّفَ اللهُ بينَ قلوبِكُم؟ قالوا: بلَى! قالَ رسولُ اللهِ: ألا تجيبونَ يا معشرَ الأنصارِ؟ قالوا: وما نقولُ يا رسولَ اللهِ وبماذا نُجيبُكَ؟ المنُّ للهِ ورسولِهِ. قالَ: واللهِ لَو شِئتُم لقُلتُم فصدَقتُم وصُدِّقتُم: جئتَنا طريدًا فآوَيناكَ، وعائلًا فآسَيناكَ، وخائفًا فأمَّنَّاكَ، ومَخذولًا فنصَرناكَ. فقالوا: المنُّ للهِ ورسولِهِ. فقالَ: أوَجَدتُم في نُفوسِكُم يا مَعشرَ الأنصارِ في لُعاعَةٍ مِن الدُّنيا تألَّفتُ بِها قَومًا أسلَموا، ووَكَلتُكُم إلى ما قسمَ اللهُ لكُم مِن الإسلامِ! أفَلا تَرضَونَ يا مَعشرَ الأنصارِ أن يذهبَ النَّاسُ إلى رِحالِهِم بالشَّاءِ والبَعيرِ وتذهَبونَ برسولِ اللهِ إلى رِحالِكُم؟ فَوَالَّذي نَفسي بيدِهِ، لَو أنَّ النَّاسَ سَلَكوا شِعبًا وسَلَكتِ الأنصارُ شِعبًا، لسَلَكتُ شِعبَ الأنصارِ، ولَولا الهجرةُ لكُنتُ امْرَأً مِن الأنصارِ. اللَّهمَّ ارحَمْ الأنصارَ، وأبناءَ الأنصارِ، وأبناءَ أبناءِ الأنصارِ. فبكَى القَومُ حتَّى أخضَلوا لِحاهُم. وقالوا: رَضينا باللهِ رَبًّا، ورسولِهِ قسمًا، ثمَّ انصرفَ وتفرَّقوا". صحيح فقه السيرة للألباني. ونلحظ في هذا المشهد العظيم مجموعة من الدروس، وقبل ذكرها نلحظ أنها مشكلة واحدة لعدد من الناس فتطلب الأمر إحضارهم جميعاً، وهذا من الفقه النبوي العجيب، وقد يتطلب تفريقهم إن كان في ذلك مصلحة كقلة المنصفين وكثرة الغوغائيين، أو غير ذلك، ومن الدروس أيضاً: الاجتماع كان في مكان واحد والحضور خُصص بالأطراف المهمة، ومن ثم خارطة الحديث معهم كانت بوابة أساسية لحل الإشكال والاحتفاظ بمشاعر الأنصار، فحمد الله وأثنى عليه، وهيأ الجو الإيماني، ومن ثم استرجع بهم الذاكرة للوراء وأبان حقه وفضله، وقد اقتدى بذلك عثمان رضي الله عنه، وأيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأعطى فرصةً للحديث، ومن ثم تحدث عنهم وذكر خيرهم

وفضلهم، وذكرهم بحقيقة الدنيا، وأبدى لهم ما كان لهم وهو أن يذهبوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون رسول الله معهم وكان كذلك حتى دفن بين ظهرانيهم، وختم ذلك بدعاء لهم لم يرغبوا بحمر النعم عنه.

❖ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: "كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ". رواه البخاري. في هذا المشهد العظيم أقدم الأعرابي على مشائن كثيرة، فأُولاها إدراكه للرسول من خلفه ثم الجبذ دون النداء، ثم النداء بالاسم مجرداً وهو منهي عنه بنص الكتاب، ثم الجفاء في الخطاب والطلب، وكل ذلك أمام أصحابه وفي حضرة سيادته عليه الصلاة والسلام، وكان بوسعه أن يرد عليه بالمثل وله شرعٌ في ذلك، لكن روحه تتسامى مع محاسن الأخلاق ومكارمها، فقد كان الرد مخالفاً لكل التوقعات، فالتفت رسول الله إليه ولم يُعرض، وضحك ولم يعبس، ولاحظ الرواية لم يقل: ابتسم، بل "ثم ضحك"، وأعطاه ولم يحرمه، وأطلقه ولم يعاقبه أو ينهره، وتأمل في المقابل لو أتى رسول الله بخلاف مالم يفعل وحاشاه، لما كانت تنتهي الحادثة بسلام، وربما تسخط ذلك الرجل دينه وتعارك الصحابة معه، وحدث القيل والقال، لكن موقف رسول الله حسم ذلك كله، وهذا درس عظيم لكل داعية: الحِلم سيد الأخلاق، والعفو تاجها.

❖ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن أعرابيًّا بالَ في المسجدِ، فثارَ إليه الناسُ ليقَعوا به، فقال لهم رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "دعوه، وأهْريقوا على بولِه ذنوبًا من ماءٍ، أو سَجْلاً من ماءٍ، فإنما بُعثتُم مُيَسِّرين ولم تُبْعثوا مُعَسِّرين" رواه البخاري. ومن الدروس: ليس كل خطأ مشاهد يصحح مباشرة، فربما المصلحة في تأخير ذلك، واعتبار الجهل مطلب مهم، فعلى عظم المسجد ومكانته وهو ما دل عليه فعل الصحابة، إلا أن الجاهل لا يؤاخذ حتى يعلم.

❖ عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أُصلِّي معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. إذ عطَس رجلٌ منَ القومِ. فقلتُ: يرحمُك اللهُ! فرَماني القومُ بأبصارِهم. فقلتُ: واثُكلَ أُمِّياه! ما شأنُكم؟ تَنظُرونَ إليَّ. فجعَلوا يَضرِبونَ بأيديهم على أفخاذِهم. فلما رأيتُهم يُصَمِّتونَني. لكني سكَتُّ. فلما صلَّى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. فبِأبي هو وأمِّي! ما رأيتُ مُعَلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تَعليمًا منه. فواللهِ! ما كهَرَني ولا ضرَبَني ولا شتَمَني. قال: "إنَّ هذه الصلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ الناسِ. إنما هو التسبيحُ والتكبيرُ وقراءةُ القرآنِ". أو كما قال

رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. قلتُ: يا رسولَ اللهِ! إني حديثُ عهدٍ بجاهليةٍ. وقد جاء اللهُ بالإسلامِ. وإنَّ مِنَّا رجالًا يأتونَ الكُهَّانَ. قال فلا تأتِهم قال: ومِنَّا رجالٌ يتطيَّرونَ. قال ذاك شيءٌ يَجِدونه في صدورِهم. فلا يَصُدَّنَّهم (قال ابنُ المصباحِ: فلا يصُدَّنَّكم) قال قلتُ: ومنا رجالٌ يَخُطُّون. قال كان نبيٌّ منَ الأنبياءِ يَخُطُّ. فمَن وافَق خَطُّه فذاك قال: وكانتْ لي جاريةٌ تَرعى غنمًا لي قِبَلَ أُحُدٍ والجَوَّانيَّةِ. فاطَّلَعتُ ذاتَ يومٍ فإذا الذئب قد ذهَب بشاةٍ من غنمِها. وأنا رجلٌ من بني آدَمَ. آسَفُ كما يأسَفونَ. لكني صكَكْتُها صكَّةً. فأتَيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فعظَّم ذلك عليَّ. قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أفلا أُعتِقُها؟ قال ائتِني بها فأتَيتُه بها. فقال لها أينَ اللهُ؟ قالتْ: في السماءِ. قال مَن أنا؟ قالتْ: أنت رسولُ اللهِ. قال أَعتِقْها. فإنها مؤمنةٌ". رواه مسلم. ومن الدروس: العذر بالجهل لا سيما في العبادات والتلطف مع الجاهل في التعليم والتنبيه والصبر عليه، وكذلك اعتبار الإيمان في التكريم وأيضاً العفو والصفح، فقد أمره بعتق جاريته لما رآها مؤمنة.

❖ عن أسامة بن زيد رضي الله عنه يقول: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فأدركت رجلا فقال: لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقال: لا إله إلا الله وقتلته؟" قال قلت: يا رسول الله! إنما قالها خوفا من السلاح. قال: "أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا". فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ. قال فقال سعد: وأنا والله لا أقتل مسلما حتى يقتله ذو البطين يعني أسامة. قال: قال رجل: ألم يقل الله: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله" فقال سعد: قد قاتلنا حتى لا تكون فتنة وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة. رواه مسلم. ومن الدروس: تعظيم قدر لا إله إلا الله وحصانة المؤمن بها، ومن الدروس تعظيم حرمة دم المسلم وكذلك العدل وعدم المحاباة في تصحيح الأخطاء والتوجيه والإرشاد، كما نعلم أن أسامة رضي الله عنه ابن حب رسول الله وحبه ومع ذلك لم يخفِ عنه النبي صلى الله عليه وسلم أثر خطأه وجرأته على الدم الحرام.

❖ عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال: كنتُ غلامًا في حَجْرِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، وكانتْ يدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فقالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: "يا غلامُ، سمِّ اللهَ، وكُلْ بيمينِكَ، وكلْ ممَّا يلِيكَ". فما زالت تِلكَ طِعْمَتِي بعدُ. رواه البخاري. ودروس هذا الحديث كثيرة، ومنها: أهمية النزول للصغار ومعايشتهم في حياتهم للتعليم وكسر النفس وغير ذلك، اختيار الوقت المناسب للتنبيه، فتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يكون إلا بعذر، التلطف في النداء مهما عظم المنادِي وصَغُر المنادَى، ونلحظ الترتيب المنطقي في التوجيه والتعليم، فبدأ بما يجب أولاً ثم ما يليه، وهكذا.

❖ عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم، إذا بلغَه عن الرجلِ الشيءَ، لم يقل: ما بالُ فلانٍ يقولُ، ولكن يقولُ: "ما بالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا!" رواه أبو داود. وهذا الأسلوب يحفظ للمخطئ ماء وجهه ويزيد من ألفته ومحبته وتعمّ الفائدة للجميع. ومن الدروس: التلميح لا التصريح في تصحيح الأخطاء، لأن المقصد إصلاح الخطأ، وليس إقرار المخطئ.

❖ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم رأى نُخامةً في القبلةِ، فشقَّ ذلك عليه، حتى رُئِيَ في وجهِه، فقام فحكَّه بيدِه، فقال: "إن أحدَكم إذا قام في صلاتِه، فإنه يناجي ربَّه، أو، إن ربَّه بينَه وبين القبلةِ، فلا يَبزُقَن أحدُكم قِبَلَ قبلتِه، ولكن عن يسارِه أو تحتَ قدمَيْه. ثم أخذ طَرَفَ رِدَائِه، فبصقَ فيه، ثم ردَّ بعضَه على بعضٍ، فقال: أو يَفْعَلْ هكذا". رواه البخاري. ومن الدروس: أن لا يتصنع كراهته للشيء أو حبه، بل هو شعور حقيقي يراه فيه الناس وهو ما كان عليه رسول الله عليه وسلم، ومن الدروس: توضيح السبب دائماً فإبداء الغضب أو غيره دون توضيح السبب مدعاة للتساؤل والحكم الخطأ، وإيضاح البديل المناسب حال الحاجة، وكذلك كسر الحاجز النفسي في إصلاح الخطأ ومباشرته من القدوة، فرسول الله باشر حك النخامة ولم تتقرف نفسه عن ذلك أو تترفع ليخبر الجميع عِظم ما دعا إليه، ومن الدروس عدم الحرص على إقرار المخطئ بل النبي عليه الصلاة والسلام لم يسأل عنه البتة لكنه أوضح الخطأ وطريقة إصلاحه والبديل عنه.

❖ عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال أنَّ فَتًى شابًّا أتى النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليهِ وعلى آلِهِ وسلَّمَ فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ إئذَنْ لي بالزِّنا، فأقبلَ القومُ عليهِ فزجروهُ وقالوا: مَهْ. مَهْ. فقالَ: أدنُهْ، فدَنا منهُ قريبًا. قالَ: فجلَسَ قالَ: أتحبُّهُ لأُمِّكَ؟ قالَ: لا. واللَّهِ جعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لأمَّهاتِهِم. قالَ: أفتحبُّهُ لابنتِكَ؟ قُل: لا. واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ جَعلَني اللَّهُ فداءَكَ قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لبَناتِهِم. قالَ: أفتُحبُّهُ لأُخْتِكَ؟ قُل: لا. واللَّهِ يا رسول اللَّه جعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لأخواتِهِم. قالَ: أفتحبُّهُ لعمَّتِكَ؟ قُل: لا. واللَّهِ يا رسولَ اللَّه جَعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لعمَّاتِهِم. قالَ: أفتحبُّهُ لخالتِكَ؟ قل: لا. واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ جَعلَني اللَّهُ فداءَكَ. قالَ: ولا النَّاسُ يحبُّونَهُ لخالاتِهِم. قالَ: فوَضعَ يدَهُ عليهِ وقالَ: اللَّهمَّ اغفِرْ ذنبَهُ وطَهِّر قلبَهُ، وحصِّن فَرجَهُ فلم يَكُن بعدُ ذلِكَ الفتَى يَلتَفِتُ إلى شيءٍ. رواه أحمد. ومن الدروس: الجلوس قريباً من السائل أو المستشير، واحتوائه وعدم زجره، والحوار الذي يقتضي خطاب الفكر والوجدان في آن واحد مهما كان عِظم الأمر، فهذا الشاب يسأل في أحد مقاصد الدين، ومع ذلك لم يقدم الرسول على الحوار أي شيء، واختار صيغة هذا الحوار وفقاً لحال الشاب فقد يكون لديه غيرة فخاطبها الرسول بسؤالات ذكية لم يكن جوابها إلا بـ: لا، وآخر هذه الدروس تلك الدعوات الطيبات التي لا يبخل بها رسولنا عليه الصلاة والسلام عن أي أحد من صحبه.

❖ عن كعب بن مالك رضي الله عنه في الخبر الطويل وهو يروي خبر تخلفهم: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله: "وعلى الثلاثة الذين خلفوا". وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه. رواه البخاري ومسلم. وفي هذا المنهج النبوي (الهجر) من الدروس العظام، أولاها: الإحساس بذنب ترك الجماعة ومفارقتها، وتذوّق مرارة ذلك عبر كل فعل به هجْر أو ما يومئ به، وكذلك رسالة إيجابية لمن شارك وبادر ولمن يراهم على هذه الحال وقد راودته نفسه على البقاء، فتبين أهمية الطاعة والتزام الجماعة.

❖ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "علِّقوا السَّوطَ حيثُ يراه أهلُ البيتِ فإنَّه آدَبُ لهم" مجمع الزوائد للهيثمي. ومن الدروس: أهمية العقاب البدني والإشارة به على الأقل، ويحتاج لضوابط، وهو يصلح للأخطاء المتكررة. (راجع بحث العقاب البدني تحت المجهر للكاتب على الشبكة).

❖ عن خوات بن جبير رضي الله عنه قال: نَزَلْنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مَرَّ الظَّهْرانِ، قال فخرَجْتُ مِن خِبائي فإذا نسوةٌ يتحدَّثْنَ فأعجَبَني فرجَعْتُ فاستخرَجْتُ عَيْبَتي فاستَخْرَجْتُ منها حُلَّةً فلبِسْتُها وجِئْتُ فجلَسْتُ معهُنَّ، فخرَج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال أبا عبدِ اللهِ فلمَّا رأيْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم هِبْتُه واختلَطْتُ، قلْتُ يا رسولَ اللهِ جَمَلٌ لي شَرَدَ وأنا أبتغي له قَيدًا فمضى واتَّبَعْتُه فألقى إليَّ رِداءَه ودخَل الأَراكَ كأنِّي أنظُرُ إلى بياضِ مَتْنِه في خُضرةِ الأَراكِ فقضى حاجتَه وتوضَّأ وأقبَل والماءُ يَسيلُ مِن لحيتِه على صدرِه، فقال أبا عبدِ اللهِ ما فعَل شِرادُ جَمَلِك؟ ثمَّ ارتَحَلْنا فجعَل لا يَلْحَقُني في المسيرِ إلَّا قال السَّلامُ عليك أبا عبدِ اللهِ ما فعَل شِرادُ ذلك الجَمَلِ؟ فلمَّا رأيْتُ ذلك تعجَّلْتُ إلى المدينةِ واجتَنَبْتُ المسجدَ ومُجالسةَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم. فلمَّا طال ذلك تحيَّنْتُ ساعةَ خَلوةِ المسجدِ فخرَجْتُ إلى المسجدِ وقُمْتُ أُصَلِّي وخرَج رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مِن بعضِ حُجَرِه، فجاء فصلَّى ركعتين خفيفتين وطوَّلْتُ رَجاءَ أن يذهَبَ ويَدَعَني فقال طوِّلْ أبا عبدِ اللهِ ما شِئْتَ أن تُطَوِّلَ فلَسْتُ قائمًا حتَّى تنصرِفَ! فقلْتُ في نفسي واللهِ لأعتَذِرَنَّ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ولأُبَرِّئَنَّ صَدرَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فلمَّا انصرَفْتُ قال السَّلامُ عليك أبا عبدِ اللهِ ما فعَل شِرادُ جَمَلِك؟ فقلْتُ والَّذي بعثَك بالحقِّ ما شرَد ذلك الجَمَلُ منذُ أسْلَمْتُ فقال رحِمَك اللهُ ثلاثًا ثُمَّ لم يَعُدْ لشيءٍ ممَّا كان. مجمع الزوائد. ومن الدروس: استخدام المزاح في التعليم والتوجيه، والتلميح أولى من التصريح، وليس شرطاً أن يُظهر المربي معرفته بكل شيء، وما أجمل من حروف الدعاء التي يلهج بها المربي لمن أمامه وهي تخرج بصدق وحب.

❖ عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أقِيلوا ذَوي الهيئاتِ زلَّاتِهم" رواه ابن حبان. ومن الدروس: اعتبار مكانة الشخص الاجتماعية في أخطائه، وهذا بلا شك لا يتضمن الحدود المنصوص عليها، ولكن في شأن الأخطاء التي بطبيعة الحال تستقذرها الطباع السوية وتأباها نفوس العظماء، فتُقال عثرته حفاظاً لماء وجهه، وصيانة له من السفهاء، وحرزاً لأبواب الأخلاق من تجرئة دهماء الناس عليها.

خامساً: كيف أعزز خلقاً وكيف أزيله

بعد هذا العرض الموجز لأصول التعامل في القرآن الكريم، والمنهج النبوي في التعامل، فإن النفس تستوفز طاقتها لتبلغ عظيم الصفات والأخلاق الكريمة، وتتطلع للامتثال بذلكم المنهج الوافي، وخلاصة ما في القول أن ثمة خطوات يسيرة لمن رام تعزيز خلقٍ ما، وهي كالتالي:

١. اعرفه: أن تتعرف على هذا الخلق الكريم وليكن مثلاً التبسم أو التغافل، فتتعرف عليه من حيث النصوص وأهميته والآثار المترتبة عليه، فتقرأ فيه وتتوسع في البحث عنه، فتبحث عن النصوص الواردة في الابتسامة وفضائلها وأثرها النفسي والاجتماعي، حتى تتشبع بشكل متكامل من الناحية المعرفية النظرية.

٢. أَحبه: تبدأ العلاقة الوجدانية مع الخُلق منذ بداية التعرف عليه وسبر أغواره، ولكن بُعيد ذلك تبرز محبته بشكل أوضح وأبرز، ويبدأ يحب مثلاً الابتسامة وأهلها، ويتأقلم نفسياً وعاطفياً عليه، ويستحيل على نفسه أن يعيش بلاها وهكذا.

٣. طَبِّقْه: مرحلة التنفيذ تبدأ مباشرة، ولا يشترط الكمال الذي يتطلع له البعض فيُحبط، لكن يتدرج في ذلك، وربما جعل له صاحب سنة يوقظه ويقوّمه، فيبدأ يومه مثلاً بابتسامة ويشترط على نفسه في أن لا يلقى أحداً إلا بها، ويحاول أن يعد ويحصي المواطن التي لم يتخلق بذلك الخلق ويتلافاها، ثم ليستلهم دائماً وأبداً أن التوفيق بيد الله وأن يدعوه سبحانه ويطرح بين يدي الله في أن يحسن أخلاقه ويكرمه بهذه المثل العظام.

ومثل ذلك فيمن يريد إزالة خلق مشين، فتكون الخطوات كالتالي:

١. اعرفه: فتتعرف مثلاً على ما قيل في الغضب من الوحي، وآثاره النفسية والاجتماعية، وهكذا.

٢. أبغضه: تعقد علاقة كره وبغضاء مع هذا الخلق.

٣. اتركه: تبدأ بتركه ولا تيأس من أول هفوة، بل سارع بالاعتذار ومعرفة دواعي الوقوع والبعد عن ذلك، وتسأل الله دائماً وأبداً الإعانة والهداية، وتمتثل بالدعاء الذي في وصية الرسول عليه الصلاة والسلام لعمران بن حصين: "اللهم ألهمني رشدي وأعذني شر نفسي".

سادساً: مفاهيم خاطئة

❖ الصفات الجبلية لا يستطيع المرء تغييرها، وأن يكتسب شيئاً جديداً فيصعب هذا كثيراً. ولا شك أن مثل ذلك مبالغة وخطأ، وإلا لِم كانت الفضائل لأهل الخُلق الحسن؟ وتأمل هذا الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر". رواه البخاري. وفيه من يستعفف، من يتصبر، وكل هذه الدعوات للتغيير الإيجابي لما يتطلع له المرء، ثم إن المثالية في التعامل مُحال، والكُلفة تزيل الألفة، فلا ييأس المرء من أخطائه وهفواته، المهم هو أن يتحسن عن أمسه، ويتطلع لما هو أفضل، ويُشعر من حوله بإنسان جديد.

❖ تصحيح الموقف انهزام أو نقص! البشرية غير المتكلفة عند بعض القدوات غير مقبولة، وهذا مخالف لتعاليم النبوة والهدي العظيم، يؤكده ما روته صفية بنت حيي زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم مُعتَكِفًا فأتَيتُه أزورُه ليلًا، فحدَّثتُه ثم قُمتُ فانقَلَبتُ، فقام معي ليَقلِبَني، وكان مَسكنُها في دارِ أسامةَ بنِ زيدٍ، فمرَّ رجلانِ منَ الأنصارِ، فلما رأَيا النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أسرَعا، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: على رِسلِكما، إنها صَفِيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ. فقالا: سُبحانَ اللهِ يا رسولَ اللهِ، قال: "إنَّ الشيطانَ يَجري منَ الإنسانِ مَجرى الدمِ، وإني خَشيتُ أن يَقذِفَ في قلوبِكما سُوءًا، أو قال: شيئًا". رواه البخاري. فانظر لرسول الله وهو يعيش مع صحبه وهو المبلغ عن الله، لكن لم تأخذه نفسه عن ألا يكون غامضاً أو يبعد الريبة عن ذاته، وهناك مواقف كثر أبدى طلب الصفح، واعترف بعدم معرفته ببعض شؤون الزراعة، فقد أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون النخل فقال: لو لم تفعلوا لصلح، قال: فخرج شيصا [تمرا رديئا" فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا.. قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. رواه ابن خزيمة في صحيحه، وابن حبان في صحيحه وغيرهم بروايات مختلفة، وكل هذه بشرية سمحة واضحة غير متكلفة.

ختاماً:

١. إن أحسن الناس عند الله، وأحسن الناس عند الناس، وأحسن الناس عند أنفسهم، هم أحاسنهم أخلاقاً، الذي يألفون ويؤلفون، الذين إذا أتوا يُحمدوا، واستبشروا الناس، وإن ذهبوا افتقدوهم وحمدوهم، وإن أخطأوا عذروهم؛ لمعرفتهم بصدق نواياهم وحسن سجيتهم، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيرُ الناسِ أحسنُهم خُلُقًا" صحيح الجامع.

٢. إن الدعوة إلى الله ليست مقتصرة على بذل القول، وأن الدعوة إلى النار ليست مقتصرة على أرباب الكفر والجحيم، بل ربما أحدهم دعا إلى الله وفاز بأتباع له ولكن عبر خُلُقه وتطبيقه لأخلاق الإسلام، وآخر صد الناس عن الحق والهدى لأنه امتثل أخلاق الجاهلية في صورة مسلم، فقطع الطريق عن الجنة، فمن كان داعية بأخلاقه كانت مفاتيح الخير بيديه، ومن صد عن الجنة بأخلاقه كانت مغاليق الخير بيديه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: [إن من الناسِ مفاتيحُ للخيرِ، مغاليقُ للشرِ، وإن من الناسِ مفاتيحُ للشرّ، مغاليقُ للخيرِ، فطوبى لمن جعلَ اللهُ مفاتيحَ الخيرِ على يديهِ، وويلٌ لمن جعلَ الله مفاتيحَ الشرِّ على يديهِ" السلسلة الصحيحة.

٣. أعمق ما يؤثر في النفوس ويجول في الخواطر ويحفر في جدار الذكريات هي تلكم المواقف الحسنة والخالدة في النفس، فكم مر علينا من معلم أو مربي وحين نذكره لانذكر شيئاً كثيراً من علمه بل ربما ذهب كله، لكن الذي يبقى ابتسامة ما فارقت محياه، أو رد فعلٍ صاحبه حلم كبير لم نتوقعه، أو سؤال عن حالة اجتماعية خاصة، أو وقوف في محنة، أو تفهم لطبع غريزي وقابله بحسن تصرف واستثمار لذلك الموقف، وغير ذلك، وفي المقابل تسيء لنا بعض المشائن من قبيل هؤلاء فربما حمل لنا علما وفيراً وزخماً هائلاً من المعارف، لكن أفسد ذلك كله سوء خلق سواء في تندر أو استهزاء أو عدم تعزية، وربما اكفهرار دائم، فأساء إلى حقبة عاشها معهم لو أحسن إليهم فيها لحفظوا وده وذكروه بالحسن في أرجاء الدنيا، وصدق شوقي حين قال:

وكن رجلاً إن أتوا بعده = يقولون: مرَّ وهذا الأثرْ.

الفهرس

أولاً: مقدمات (لماذا الموضوع؟) ٤
ثانياً: قواعد مهمّة ٧
ثالثاً: التعامل في القرآن الكريم ١١
رابعاً: الرسول الله صلى الله عليه وسلم هادياً مهدياً ١٧
الرسول والأخطاء ٢٦
خامساً: كيف أعزز خلقاً وكيف أزيله ٣٥
سادساً: مفاهيم خاطئة ٣٦